

الاحلام

(خطبة للتعليم، الأستاذ برغن غلام، في نادي العلوم النفسية باريس سنة ١٩١١ ثم ترجمت الى الانكليزية بعد ان كتبها الاستاذ برغن نفسه وطبعت سنة ١٩١٢ ثم سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٥ وقد خصصناه في الصفحات التالية وتركنا الكلام فيها بصيغة المتكلم)

ان الموضوع الذي اريد الكلام عليه الآن كثير التمديد بتناول مسائل مختلفة مما هو في حد الغموض والاشكال بعضها سيكولوجي (نفسى) وبعضها فيسيولوجي وبعضها مما وراء الطبيعة ولا يمكن استيفاء الكلام عليها الا في ساعات كثيرة ولذلك اغض الطرف عن كل ما لا تمس الحاجة الى ذكره واقتصر على ما قلّ وذلّ

يمكن تحديد الحلم بأنه ادراك اشياء لا وجود لها في الخارج فاني ارى في حلمي رجلاً واشعر اني كلتهم وسمعت كلامهم ولم يكن امامي رجال ولا انا تكلمت . واشعر كاني رايت اشياء حقيقية واثخاصاً معلومين لكنني لا ارى اثرًا لتلك الاشياء واولئك الاشخاص حينما استيقظ فكيف حدث ذلك

ولكن الم يكن هناك شيء اى ألا يكون حول النائم شيء مادي يؤثر في مشاعره وقت الحلم اى في عينيه واذنيه وسائر اعضاء جسمه

اغضض عينيك وتأمل فيما تراه اى لك وانت مغضضها . قد تقول انك لا ترى شيئاً . ولكن كوز اغماض عينيك وتأمل كأنك تسين شيئاً تراه فتصور انك ترى اشياء كثيرة ترى اولاً نساء اسود ثم قد ترى في هذا الغماء قطعاً منيرة تجي وتذهب وتلمر وتهبط رويداً رويداً . وكثيراً ما ترى بقعاً مختلفة الالوان وقد تكون الوانها قائمة وقد يكون لامعة وهي تسع ثم تضيق دواليك وبتغير شكلها ولونها سريعاً او بطيئاً وتدور على محاورها بسرعة تغير النظر . ولد بحث علماء النفس والسيولوجيا في سبب هذه البقع وتضير الوانها وطلوها بما يسبب شبكية العين من تدوير دورة الدم فيها او من ضغط الجفنين على الحدقة وتأثير ذلك في عصب البصر . ومما يكن سببها فهي اساس الاحلام كلها فهي اسبابها الداخلية ويضاف اليها اسباب خارجية وهي ما قد يؤثر في عيني النائم من صور المرئيات لان العين تتميز بين النور والظلمة ولو كانت مطبقة الجفنين وقد تتميز بين نور ونور . وفعل النور بالعينين ولو كانتا مطبقتين يؤثر في كثير من الاحلام فاذا دخل مصباح الى غرفة معتمة وكان النائم فيها غير مستغرق في نومه فقد يحلم انه رأى ناراً شبت في منزل فاحرقته . مثال ذلك ان رجلاً اسمه

ليكون حلم ان تياترو الاسكندرية احترق وسطح نور النار حوله ثم انتقل هو فجأة الى البركة التي في قلب لنتشية فدارت اثار على المسئلة التي حولها ثم انتقل الى باريس في زمن المرضي واذا النار شابة فيه فاضطر ان يشترك في معمة كبيرة واستيقظ حينئذ وفتح عينيه فرأى ان المرضة دخلت غرفته ويدها مصباح ليلى وقع نوره على وجهه بنسة . وحدث مثل ذلك لرجل آخر كان مريضاً فانه حلم انه عاد الى الجربة التي كان فيها قبل مرضه وذهب الى طولون ولوربه والقرم والتسطنطينية ورأى ألبرق وسمع الرعد واشترك في معركة بحرية ورأى لعان النار من افواه المدافع فاستيقظ مذعوراً واذا هو يرى المرضة دخلت غرفته ويدها مصباح ليلى وقع نوره على وجهه ونور المصباح الذي دخلت به المرضة سبب الحلم الاول والثاني حالما وقع على العين اي انه نيه الحالم الى صور محفوظة في ذاكرته واذا كان النور مستطيراً ستمراً كتنور القمر كان تأثيره في النائم غير تأثير النور الساطع الذي يقع بنسة فانه يحلم حينئذ انه يرى نفاة جميلة المنظر او نحو ذلك من الاحلام التي تروق له وكما يؤثر النور في عيني النائم تؤثر الاصوات الخارجية في اذنيه عدا ما فيها من المؤثرات الداخلية كالطين والديوي والصغير ونحو ذلك مما قد نشرب به ونحن مستيقظون وقد لا نشعر ولكننا نشعر به حتماً ونحن نيام فاذا تشقق الاثاث من شدة الحر او وقع المطر او هبت الريح او تصف الرعد أثرت كل هذه الاصوات في اذني الحالم فحوثها الى حديث او غناء او سراخ او ما اشبه . لكن الاصوات لا تؤثر في احلامنا كالالوان لان أكثر الاحلام نظري لاسمعي فكثيراً ما يحلم النائم انه تكلم مع شخص وتجادلنا معاداة طويلة ثم يشعر انه لم يتكلم بل كان عاجزاً عن النطق وان محدثه لم يتكلم ايضاً بصوت مسموع بل كان التماثل بينه بالافتكار ويكون ذلك اذا لم تسمع الاذن صوتاً لان الانسان لا يقدر ان يستنبط شيئاً من لاشي .

اما اللمس فتؤثراته كثيرة أكثر من مؤثرات السمع ويمكن ان نتكلم ساعات عما يحلم به الانسان من تأثير اللمس فيه وهو قائم لان هذا التأثير يمتزج بالصورة التي ترد الى الذهن عن طريق البصر فينوعها وينسجها تنسيقاً مناسباً له فكثيراً ما يشعر النائم بحضة غطائه فيجب انه لا يلبس ثياباً رقيقة لا تدفئه اوانه عار او حاف واذا كان يحلم حينئذ انه في احد الشوارع شعر ان الناس ينظرون اليه غير مستغربين ولو اشترب هو ظهيرة امامهم على تلك الصورة . وهذا النوع من الحلم يحلم به كل احد . ومن الاحلام التي يحلم بها الجميع الطهران في الهواء او في الخلاء واذا حلم الانسان هذا الحلم مرة تكرر حلمه به مراراً ويقول في نفسه

ان طيراني في المرة الاولى كان وهماً واما الآن فهو حقيقة لا ريب فيها . ولكنه اذا استيقظ حينئذ لم يتذكر عليه امليل هذا الحلم اذا امن نظره وذلك انه يكون محمولا على فراشه وقدماه غير ماسي الارض فهذا الشعور بانه محمول على غير قدميه يمسله يعتقد انه طائر واذا كان نائماً على احد جانبيه حلم انه طائر على ذلك الجانب

ومن اهم تأثيرات النفس ما يشعر به النائم من حركات اعضاءه الباطنة ولاسيما امعائه فان هذه الاعضاء تتحرك على الدوام في النوم كما في اليقظة اما في اليقظة فقلما تشعر بحرركاتها لانشغالنا عنها باعمالنا المختلفة وليس الامر كذلك ونحن نيام فالمرضى لالتياب الحنجرة والوزنين يخلعون ان قد ضيق خناقهم حتى كادوا يخنقون ومعهم استيقظوا وزال الحلم زال هذا الشعور ايضاً ولكن لا تقضي ساعات كثيرة حتى يصابوا بالالتهاب حقيقة اي انهم يشعرون به وهم نيام قبلما يشد حتى يشعروا به وهم مستيقظون . وقد ذكرت امراض وآفات كثيرة حلم بها البعض وهم نيام قبل اصابتهم بها فعلاً حسب الظاهر ولذلك رأى بعض الفلاسفة مثل شوبنهاور ان في داخل الوجدان صدى ما يقع من الاضطراب في الخسوع العصبي السباتوي وقال غيره مثل شرنون ان كل عضو من اعضاء الجسم يسبب حتماً خاصاً به . والف بعض الاطباء مثل ارتيموس كتباً قالوا فيها انه يمكن الاستدلال بالاحلام على نوع المرض . واخيراً ابان المسير تسيه كيف ان الاحلام المختلفة تدل على الآفات التي تصيب اعضاء الجسم المختلفة كاعضاء الهضم واعضاء التنفس واعضاء الدورة الدموية

وزيادة القول اتنا ونحن نيام لا نتقطع مشاعرنا عن التأثير بالموتورات الغازية بل تبقى متأثر في النوم كما تتأثر في اليقظة . ولو لم يكن فعلها محكماً في النوم كما في اليقظة . وان الموتورات التي تؤثر فينا في اليقظة ولا تشعر بها لانشغالنا بغيرها يبقى تأثيرها فينا نشعر به ونحن نيام اذا نتقطع لاندسنا . فبحال شعورنا لا يضيق ونحن نيام بل يتسع ولو في بعض الجهات . نعم انه يضعف في شدته ولكنه يتسع في نطاقه فيأتينا بتأثيرات كثيرة مشوشة وهذه التأثيرات هي الخيوط التي تنسج منها احلامنا ولو كانت غير كافية وحدها لنسج الاحلام لغموضها وعدم وضوحها فاذا شعر النائم بشيء من النور والخلقة فقد يتصورها كتاباً ابيض الورق اسود الخبز او بيتاً ابيض الجدران اسود الشبايك او نحو ذلك من الصور التي فيها ابيض واسود . والذاكرة محكم بان ما يراه النائم هو هذا الشيء او ذلك . فاذا كان الانسان نائماً نوماً عميقاً فذاكرته التي تنسج احلامه من الامور المحفوظة في ذاكرته تنبئ بالتأثيرات الغازية والداخلية التي تحدث له حينئذ فيتولد الحلم من مجموعها وقد تكون هذه المحفوظات اموراً قديمة

لا يتذكرها الانسان وهو مستيقظ فتخرجها الذاكرة من اعماق نفسه وهو نائم. والغالب انها اشياء وقد نظره عليها واصوات دخست اذنيه وهو غير متنبه . او تكون من بعض مخفوقات الذاكرة التي نسي اكثرها وبقيت فضلاتها في مخادع الدماغ فتلقطها الذاكرة حينئذ وتخرج بعضها ببعض على غير نظام وتخلطها بالاثيرات التي تقع على مشاعر النائم مما حوله.

والى اعند ان كل سيرتنا الماضية مخفظة بتفاصيلها في نفوسنا لم يفقد منها شيء . كل ما شعرنا به وادركناه وافكرنا به واردناه من اول ما ابتدأ شعورنا . كل ذلك مخفوظ في مخادع النفس ولكنه غير ظاهر العيان فهو يتوق الى الظهور ولكنه لا يجد اليه سبيلاً من تلقاء نفسه ولا نحن مهتمون بامرء او متفرغون له لان لدينا مشاغل اخرى تشغلنا عنه . ولكن اذا اتفق ان انقطعنا عن اشغالنا اي عما يتسلط على ذاكرتنا ونما فخلصت هذه المخفوظات من قيودها وخرجت من مخادعها وبادرت كلها يزحم بعضها بعضاً فحضر امام الذهن في وقت واحد فيتعذر عليها ذلك لكثرتها ولا يمب طيناً ان تعرف ايها يتمكن من الحضور . فالمستيقظ يتذكر الامور التي لها علاقة بما حوله من المراتيات والسموعات والمجوسات وحينما ينام يحدث مثل ذلك اي انه يتذكر ما يلائم المؤثرات التي تؤثر فيه حينئذ فظاهراً وباطناً كالاشعة التي تفلأ لاً امام عينيه ولو كانتا مضمضتين والاصوات التي تترع اذنيه ومن مجموع هذه وتلك يحدث الحلم اي مما يشعر به المرء وهو نائم ومن الصور المرسومة في ذهنه من شعوره السابق . ثم ان الشعور الحاضر لا يكون واضحاً جلياً تختار له الذاكرة الثوب الذي يلائمه وتلبسه اياه .

فالحلم مثل كل المدركات في تولده وتكيفه . فاننا اذا نظرنا الى جسم من الاجسام فما نراه منه قليل في جنب الصورة العقلية التي تربينا اياها الذاكرة فالذي يقرأ هذه الصفحة لا يرى كل كلمة من كتابها وكل حرف من حروفها ولو اراد ان يبين كل كلمة فيها وكل حرف لقضى في ذلك ساعات كثيرة والحقيقة ان الذي يحسن القراءة لا يرى من الكلمة الا بعض حروفها وقد لا يرى من العبارة الا بعض كلماتها او ما يكفي للاستدلال على البقعة وفهم المعنى . وهذه البقية لا يراها ولكنه يتصور انه رآها (١) وقد ثبت هذا تجارب كثيرة

(١) [المتخلف] ويصدق هذا بتوقع خاص في قراءة المتخلفان بعض الكتيبة لا يكونون من الكتفة الا بعض حروفها ومع ذلك يقرأها بسهولة من اجساد تراءى لها وقد يترك الكاتب رمزاً من حروف الطبع بعض الكلمات وبعض الحروف خطأ فلا يتقنه الذارع لهذا النفس بل يقرأ ما كانها موجودة لان ذاكرته محضها امام ذهنه

من ذلك تجارب غولديشيدر وملاً فثبها كتباً بعض العبارات المألوفة واخطأ في كتابتها عمداً فابدى بعض حروفها وحذفاً بعضاً وعرضت هذه العبارات في غرفة قليلة النور امام رجل ثم انيرت بالشور الكهر بآئي برهة قصيرة جداً لا تكفي القارئ للزور بنظره على اكثر من ربع الحروف ومع ذلك سهل عليه ان يقرأ تلك العبارات من غير خطأ . ولما سئل عن الحروف التي رآها حقيقة ذكر بعض الحروف المكتوبة وبعض الحروف المحذوفة ايضاً حاسباً انه رآها بعيني رأسه والحقيقة انه رآها بعيني عقله ولذلك يرى القارئ صحيحاً بعض الحروف المرسومة خطأ . ويفسر ذلك بان الحروف التي وقعت صورتها على عينيه ابقظت في ذهنه صور هذه الكلمات كما كان يقرأها قبلاً اي جعله يتذكر صورها الصحيحة . فالذي يدركه القارئ حينئذ هو ما يتذكره لا ما يراه . وعليه فالتقراءة السريعة نوع من معرفة الغيب لان ما يراه القارئ حينئذ هو جزء صغير مما يدركه واكثر ما يدركه كان مخزوناً في دماغه (١)

فالانسان وهو مستيقظ يصل دوائماً ما يصله وهو قائم اي انه يدرك صورة ناقصة لما يشعر به وهذه الصورة تنبه الصورة الكاملة التي في ذاكرته وهذه الصورة الكاملة تكون كامنة في ذلك الوقت فتوقظها الصورة الناقصة وتنبه الذهن لها

والظاهر ان محفوظات الذاكرة ترتب وتنسق حسب اجناسها وانواعها حينما يحدث ما يستدعيها . ويؤيد ذلك تجارب اجراها مستر بيرج قبل غولديشيدر وملاً وهو انه كان يكتب كلمة غير مألوفة كتابة صحيحة ويعرضها لعيني الرائي مدة قصيرة جداً لا تكفي لرؤيتها جيداً ويقم واحداً الى جانب الرائي يحس في اذنه كلمة اخرى لا مشابهة بين معناها ومعنى الكلمة المكتوبة فيقول الرائي انه رأى كلمة تشبه الكلمة المكتوبة في صورتها والكلمة التي سمعها في معناها (وهنا ذكر الخطيب الكلمات التي كتبها المحتج وهي المائة وهي بتبابة لو كانت الكلمة المكتوبة مفتون والكلمة التي سمعها شجرة فانه يقرأ زيتون كأنه رأى الواو والنون وسمع كلمة شجر فنبهت في ذهنه اسم شجرة مخنوم بالواو والنون . وكذلك اذا كانت الكلمة المكتوبة فسق وفسس واحد في اذنه كلمة مدينة فانه يقرأها دمشق وهملاً جرماً)

وهذا هو تعليل ما تدركه وما تعلم به فانه يكون في الحالين من مؤثرات حقيقية تؤثر

(١) [المنطوق] ويضع ذلك من ان الهندى . بالقرارة يظهر ان يرى كل كلمة وكل حرف واكن . في عزت صور الحروف والكلمات في ذهنه وتطفت بمعانيها سار يقرأ « كرجا » ويكتفي برؤية شكل الكلمة المألوف او رسم العبارة

في المشاعر ويكون فيهما امور مخزونة في مخادع الذاكرة تنتهز الفرصة عند ما تفعل هذه الموترات فتظهر من مخادعها وتخرج بها

ولكن ما هو الفرق بين الحلم والادراك في اليقظة او ما هو النوم من حيث فعل العقل ان كان العقل يعمل في النوم كما في اليقظة على ما تقدم وماذا لسعي فعله في اليقظة ادراكاً وفي النوم تخلاً اي ما هي خواص النوم العقلية

الآراء كثيرة في هذا الشأن فقد قال البعض ان الانسان يفرّج عن العالم الخارجي وهو نائم ويطل شعوره به . ولكتنا ابنا في ما تقدم ان المشاعر تشر في النوم ولو لم تؤد الى الندم صورة واضحة لما شعر به . وقال غيرهم ان النوم يوقف فعل القوى العليا من قوى العقل كأن مراكرها تصاب بنوع من الشلل اليرقي . ولا أظن ان هذا القول رهن الصحة . نعم اننا لا نستدل الاستدلال المنطقي غالباً ونحن نيام ولكتنا لا نكون عاجزين عنه حينئذ فقد نستدل ونحن نعلم وتقيم اقيسة منطقية صحيحة محكمة بل التجلس واقول ان الذي يحلم يفرط في الاستدلال واقامة الاتيسة المنطقية فيكثر شططه ولو اكتفى بالمشاهدة والمراقبة لجاءت احلامه قليلة الاضغاث والسخافات لكنه يحاول تمثيل كل ما يشعر به فيجمع بين التناقضات ويرتكب الشطط . وهذا لا يعني ان قوى العقل العليا تكون ضعيفة على نوع ما وقت النوم ولذلك تضعف قوة الاستدلال المنطقية ويصير منطق النائم صورة فقط . وعليه فلا المشاعر تشوق عن عملها وقت الحلم ولا قوة الاستدلال

هذا من حيث الآراء ولكتنا لا نعرف حقيقة الاحلام فعلاً ما لم نبحث فيها بانفسنا . ولا يستطيع الانسان ان يبحث في كيفية الحلم وهو نائم يحلم ولكنه قد يستطيع ان يتبين حينئذ الى كيفية تدبيره من النوم الى اليقظة اذا عقد تينة على ذلك . واسمحوا لي ان اذكر لكم كيف اتخمت انا ذلك في نفسي . سمعت ابي كنت اترككم في موضوع سياسي امام جماعة من رجال السياسة فسمعت لفظاً زاد شدته رويداً رويداً حتى صار صياحاً وضجة كبيرة واذا انا بقائل بقول (اخرج اخرج) وحينئذ استيقظت سمعت كلاً ينج فكان على الذات التي استيقظت حينئذ ان تفيض على الذات الخاملة وتقول لها لقد سمعت كلاً ينج فلتنبؤ غوغاة فخرج فلا ادعك تذهبين ما لم تخبريني ماذا كنت تعلمين حتى ارتكبت هذا الخطأ . فحييها الذات الخاملة ابي كنت بطالة لا افضل شيئاً وهذا وجه الفرق بيني وبينك فانك انت اذا سمعت كلاً ينج لا تعلمين ان الصوت نباح وصاحبه كلب من غير روية بل لا تصلين الى الحكم بان الصوت نباح والتابع كلب الا بعد جهد جهيد ولو بدا ذلك منك من غير ان تنتهي

له حسب الظاهر لانك امردين الى معلوماتك السابقة وما تحزنه فيها في ذاكرتك وتحسينها وتوجيهها الى هذا الصورت ولتقابلين بينه وبينها حتى تزي واحداً منها ينطبق عليه تمام الانطباق واذا اخطأت في هذه المقابلة والمطابقة اقل خطأ فلا يكون الاستدلال صحيحاً بل نوع من الحلم . وهذا التطبيق بين الصوت المسموع ومخوضات الذاكرة لا يتم الا بجهد كما يفعل الخياط الذي يجرب ستره خاطها على بدن من خيط له فانه يوسعها من جهة ويضيقها من اخرى حتى تنطبق عليه تماماً . ولذلك فانت تبذلين جهداً كبيراً كل لحظة لادراك ما تشعرين به . وحياتك في اليقظة حياة جهاد وعناء حتى في ساعات العطلة ولا تكفين بالشور والتطبيق بل تُضيقين عن امور كثيرة تقع تحت حرك فلا تتقنين لها ولا تتقنين الا الى ما تختارين . لكن هذه الامور تدخل ذهنك عن طريق المشاعر اردت او لم تر بدي وتحزن في مخادع الذاكرة وتظهر وانت نائمة فما دمت مستيقظة فانت تختارين ما في ذاكرتك ما يناسب الحالة التي تكونين فيها وهذا الاختيار الموصل هو ما نسيه بالذوق السليم وهو جهاد مستمر ولكنك لا تشعرين بثقل وطأته عليك كما لا يشعر المرء بثقل المواد الذي يضغط على بدنه ولكنه يبعثك حتماً . ولا يفعل الذوق السليم فعلة الا بعب ومشقة . هذا واكرر ما قلته لك وهو اني اختلف عنك في اني لا افضل شيئاً فاجهد الذي نمانينه انت لا اعانيه انا لاني لا اهتم بشيء وما النوم الا الابتعاد عن المصوم . اي ان نوم الانسان يكون على قدر انصرافه عن الاهتمام بامور الدنيا . فالرادة التي تنام الى جانب سرير طفلها لا تسمع هزيم الرعد ولكنها تسمع نهد الطفل لانها تكون نائمة عن الاول ومستيقظة للثاني وما دام المرء يهتم بشيء فهو غير نائم عنه .

وقد تسأليني ماذا افعل حينما احلم فاخبرك ماذا تفعلين انت وانت يتغلى . انك تأخذيني انا الذات الحاملة - الذات الحاربة لماضي تاريخك تأخذيني وتضطين علي حتى ادخل في السائرة الضيقة التي تحيطنيها حولك . هذه هي اليقظة او حياة المستيقظ الطبيعية حياة الجهاد والارادة والعزم . انا الحلم فهو الحالة التي تقعين فيها حينما تهامين امرك وتفقدين قوة ترجيح نفسك الى امر واحد اي حينما تبطلين استمال ارادتك . والامر الذي يستدعي الايضاح هو الطريقة البديمة التي تجر من عليها في توجيه كل ما فيك من القوى الى الشيء الذي يهيك وذلك في لحظة واحدة من غير عمل . الا ان ايضاح هذه الطريقة من مملقات الفلاسفة العقلية

هذا ما نقوله الذات الحاملة للذات المستيقظة . ولو زدنا في استنطاقها زادت شرحاً

واسهباً . وخلاصة الفرق الجوهرية بين الحلم واليقظة ان القوى العقلية التي تشتمل سبب اليقظة تشتمل في الحلم ايضاً ولكنها تكون حرة في الحيز ومقيدة في اليقظة . فالحلم يشغل الافعال العقلية كلها ما عدا الصيد والاهتمام . والحالم يدرك ويتذكر ويستدل ولكنه لا يقيس ولا يطبق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهداً عتياً . فبان النباح سمجةً استنتاجاً بسيطاً لا يقتضي عنه ، ولكن الحكم بانهُ نباح كلب لا يكون الا بعد إعمال الفكر وإعمال الفكر هو الذي يقص الحالم ويبره بمتاز عن المستيقظ . وبهذا الفرق الجوهرى نفهم مرادنا الاحلام اي مميزاتها فيفهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقتاً يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث حسب اهميتها

فعدم الانسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطباق التام بين ما يشعر به الحالم وما يتذكره بل كثيراً ما يطبق الحالم امراً على امر مخالف له او يطبق اموراً متخالفة باقياً بها من ذاكرته على امر واحد يشعر به . مثال ذلك ان ترى عيناهُ تقفلاً ايضاً في بقعة خضراء فيتصورها مرجاً اخضر فيه ازهار بيضاء او طاولة البلياردو وعليها كرات العاج او نحو ذلك مما يجتمع فيه الاخضر والابيض ويكون محفوظاً في ذاكرته . وتتسارع هذه الصور من الذاكرة وكل منها يحاول ان يلمص بالتأثير الذي دخل ذهنه فقد اتى الى عليه الواحدة بعد الاخرى فيرى اولاً مرجاً ثم طاولة بلياردو وقد يظهران دفعة واحدة حتى لا يرى فاصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجاً وطاولة بلياردو في آن واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيء الى غيره حالاً واذ يرى العقل ذلك يحاول ايضاحه فيزيد غموضاً

ولهذا السبب عينه يتنق الزمن من كثير من الاحلام فيرى الحالم في ثوان قليلة حوادث لو تذكرها في يقظة لقتضى في تذكرها يوماً كاملاً لانه وهو في اليقظة يعيش مع غيره من الناس فيرى ما يجري له مثابها بحسب اتصاله بهم كأن معاشرته لغيره بمثابة ترس ساعة له استنان كثيرة تنقسم بها حركة زئبلكها الى ساعات ودقائق بدلاً من تركه يجعل في وقت واحد وهذا الترس المستن لا وجود له في الحلم فلا معنى فيه للتكبير والتدقيق وما يقتضيانه من الجهد والعتاء ولذلك لا يضطر الحالم ان يطبق ما في نفسه على ما هو خارج عنه

بقي ان نعلم كيف ان همد العقل يجعل الحالم يقدم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع انها تنطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدٍ سوى من الآراء المشاعة اننا نحلم في الليل بما كان يشغل افكارنا في النهار خاصة . وهذا

يصدق أحياناً ولكن ان كانت الافكار التي تفكر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اننا لا نكون نائمين النوم الحقيقي المريح بل النوم الذي نستيقظ منه متعبين كأننا لم نتم اما الاحلام التي نلحمها في النوم العادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا خطوراً وبالواضيع التي مرت بنا ولم نعلم النظر فيها ، واذا حللنا بما حدث لنا في يومنا فالغالب ان يكون بالتطيف منه لا بالمهم فاذا كثرت في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولما دنت مني اجفلت عن غير قصد ولغير داع خوفاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان مركبة صدمتني ومرت بجملها علي ولكنني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فعلاً - واذا سهرت على مريض مشرف على الموت وخطر بيالي انه قد يشفي ولو كان الرجاء من شفائه مقطوعاً ثم تمت فقد احلم انه شفي - والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر - ومن المضحق ان الامور التي يراها الانسان في حلمه هي في الغالب الامور التي تمر في باله وقت اليقظة مروراً لا التي يتم نظره فيها ويمتلئ قلبه عليها - ولا غرابة في ذلك لان الذات التي تحلم هي الذات التي لا تبهم ولا تعنى - والصور التي تجمعها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة من غير تعب ولا عناء

اما اذا كان النوم عميقاً جداً فيحتمل ان تكون احلامه غير ذلك ولكن هذه الاحلام تنسى عادة ولا يتذكرها المرء بعد ما يستيقظ واذا تذكر شيئاً منها شعر كأنه آت من مكان صحيح وزمان بعيد دلالة على انه تذكر في حلمه اموراً مرت عليه في صباه ولما استيقظ حاول ان يسترد هجعة الذاكرة فقالت له هيات

فالى احلام هذا النوم العميق يجب ان يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تهيئ محفوظات الذاكرة بعد ان يكون صاحبها قد نسيها ولكي يتلوا الامور التي تدخل في دائرة المباحث النفسية - ولا اجسر ان ابدي رأياً في هذا الموضوع ولكنني لا اجهم عن الإعجاب بالخيولة والحسة اللتين يعمل بهما اعضاء جميعة المباحث النفسية - فان كانت التلبي تؤثر في احلامنا فمن المحتمل ان يكون اشد تأثيرها فينا ونحن نائمون هذا النوم ولكنني اكرر ما قلته سابقاً وهو اني لا استطيع ان ابدي رأياً في هذا الموضوع - وها قد صرت معكم على قدر استطاعتي فاقف عند عتبة الجهولات وستكون اهم اعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في اعتمق اسرار الوجدان او فيما نسميه بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي ان الباحثين سيكتشفون قية مكتشفات عجيبة لا تقل اهميتها عن اهمية ما اكتشف مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية هذا ما ارجوه واقناه واجعله مسك الختام